AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

٤٥ 282.438
F191A
C.1

استشهاد

الكنيسة اليونانية الكاثوليكية

في بولونيا المحتلة

بقلم

الاب فولوديمير فهلوك

كاهن يوناني كاثوليكي

عربها عن الفرنسية

حي بن يقظان

طبع على نفقة الطائفة اليونانية الكاثوليكية البولونية

في لبنان

١٩٤٧

j'approuve cette brochure à laquelle je donne mon imprimatur.

† Maximos SAIGH
Métropolite de Beyrouth et de Jebail

Beyrouth, *le 17 Février 1947 Reg. 4; No.* 306.

استشهاد الكنيسة اليونانية الكاثوليكية
في بولونيا المحتلة

نظرة عامة :

في الخامس عشر من شهر نيسان سنة ١٩٤٦ ، الواقع فيه نهار الاثنين المقدس ، قام غبطة البطريرك مكسيموس الصايغ الكلي الطوبى (متروبوليت بيروت اذ ذاك) بجناز احتفالي عن راحة انفس السادة المطارنة والكهنة والمؤمنين الذين ذهبوا ضحية الاضطهاد البلشفي في بولونيا المحتلة ، بينهم سيادة المطران اوسيب سليبي متروبوليت مدينة لفـوف ، والمطران غريغوريوس شومزين رئيس اساقفة ستانيسلافوف ، وبضع مئات من الكهنة ، وعدة الوف من المؤمنين ، ماتوا جميعهم فريسة الطغيان الروسي في اول الحرب العالمية .

وهذا الاستشهاد هو مرحلة مريرة من المراحل القاسية التي مرت بها الكنيسة اليونانية المتحدة ولا تزال ، منذ مائة وخمسين سنة ، ونكبة تنزل بالقسم القائم منها اليوم تحت الاحتلال الروسي الذي تشتد عليه وطأة طغيان البلشفيك . ولا تختلف هذه الآلام والاوصاب التي تنهال على اتباع هذه الكنيسة ، اليوم بشيء عما لقيه المؤمنون من قبل في عهد القياصرة المستبدين . وهذه المأساة التي تتمثل على مسرح البلاد وهي ترسف تحت شعار المنجل والمطرقة تسترعي نظر العالم الكاثوليكي اجمع لانها تقع تحت ستار صفيق من المداجاة والتبجح بروح دينية سمحاء . وقد أدمت هذه الاخبار المحزنة بنوع خاص ، قلوب الروم الكاثوليك كما نكأت الى الصميم قلوب اليونان المتحدين من اي بلاد كانوا ، اذ يسوؤهم جدًا ان تتثاقل وطأة الشيوعية على هذه الكنيسة اليونانية المتحدة

التي يربي عدد المؤمنين فيها على ٣٠٠،٠٠٠،٣٠ . بينما عدد المنشقين من هذه الكنيسة يبلغ زهاء ٨ ملايين موزعين على طوائف وكنائس شتى . فليس بمستغرب قط ان يخصص قداسة البابا لشجب هذا الاضطهاد الذي جرح قلبه الاقدس منشوراً نشره في « الاوسيرفاتوره رومانو » في عدده الصادر في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٤٦ بعنوان : « الشرقيون عامة » (Orientales Omnes) .

الكنيسة البولونية المتحدة قبل المجمع الفلورنتي :

قد مر زهاء الف سنة على اعتناق البولونيين النصرانية ، حسبما تعلمها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية واقتبسوا بالتالي الطقس اللاتيني ، كذلك اعتنقت روسيا وما اليها من مقاطعات حوض نهر الدنيبر الديانة المسيحية عن القسطنطينية واخذت عنها الطقس البيزنطي . ومنذ ذلك الحين اخذت الكنيسة في بولونيا باستعمال اللاتينية في طقوسها الدينية . بينما جرى الروس على الاحتفال بالطقس البيزنطي باللغة السلافية . ونشأ في طول البلاد وعرضها ابرشيات وعدد كبير من الاديار . وقد كانت مدينة كييف نفسها الواقعة على مجرى الدنيبر عاصمة روسيا الزمنية والدينية معاً . وتعاقب على كرسي الابرشية كثيرون من الاساقفة ، بعضهم يونان ارسلت بهم بطريركية القسطنطينية ، وبعضهم روس صقالبة كان يرشحهم الغرندوق نفسه . وبعد ذلك بنصف قرن خرج بطاركة القسطنطينية على اتحادهم برومة سنة (١٠٥٤) فتبعتهم كنيسة روسيا ، واصبحت من ذلك الحين في عدد الكنائس المنشقة .

وبالرغم من المؤثرات والعادات البيزنطية التي اقتبستها الكنيسة الروسية فقد تميز الاكليرس الروسي بميزتين فارقتين انفرد بهما عن الاكليرس اليوناني كل الانفراد واصطبغ بهما . اما الاولى فقد كانت المستوى الثقافي الذي نزى عليه

هذا الاكليرس الروسي ، اذ كان الاساقفة مجهلون على الغالب ، اليونانية ، بينما يوسف الكهنة منهم في جهل مدقع . اما الثانية فقد كانت ضعف الروح الرسولية في هذا الاكليرس . وعلى هذا نرى ان الكنيسة الروسية لم تقم باي مجهود لتنصير المغول والتتار الذين طغت موجتهم على روسيا في القرن الثالث عشر فأناخوا عليها بكلكلهم الضاغط المرهق ، مع انهم ابقوا على ما قام فيها من امارات واغدقوا على رجال الاكليرس بكثير من المنافع والامتيازات . وقد كان من نتائج هذه الموجة المشؤومة ان وقفت حجر عثرة في سبيل تطور الامة الروسية في مدارج التمدن ، وجعلت الشعب الروسي يرسف في سلاسل العبودية والهمجية ، اذ جعلته اعجز من ان يحول دون اعتناق الغزاة للاسلام بعد وقت وجيز . وقد استهدفت مدينة كييف مراراً للنهب والسلب الامر الذي حدا بمتروبوليتها الى نقل كرسيه ابعد الى الشمال ، الى موسكو . ولم تعتم ان اصبحت امارة موسكو اهم الامارات الروسية على الاطلاق ، تنفض عن كاهلها نير التتار حتى نشطت الى انشاء وحدة البلاد وضم اطرافها النائية بعضاً الى بعض . فتقلص ظل التتار في روسيا الى شبه جزيرة القرم حيث بقيت سيطرتهم حتى اواخر القرن الثامن عشر .

وقد لقيت موسكو في محاولتها توحيد روسيا خصماً عنيداً في غراندوقية ليتوانيا التي انشأت مع بولونيا ، منذ القرن الخامس عشر ، اتحاداً قوياً . فبعد ان كسر الليتوانيون التتار والحقوا بهم هزيمة نكراء بسطوا سلطانهم على مقاطعات حوض الدنيبر التي كانت تمثل اقدم اقسام روسيا واكثرها تطوراً واخذاً باسباب المدنية . واعتنق الامراء الليتوانيون الدين الكاثوليكي الروماني ودخل في طاعتهم ملايين الارثوذكس من الطقس البيزنطي ورغبوا جداً في ان يروا الوحدة الدينية تشد اطراف امبراطوريتهم . فاخذوا يستهلون رعاياهم من الروم

المنشقين الرجوع الى الدين الكاثوليكي ، يحذو بهم الى ذلك روح سامية من التساهل الديني وتأمين حرية الاعتقاد للجميع ، مؤمنين برغبات البابوات في ان يتم الاتحاد على الوجه الاكمل ، دونما ضغط واراهاق .

وقد اعرض دوقة موسكو وقياصرتها من بعد ، عن كل الجهود والمساعي المبذولة في سبيل الاتحاد ووقفوا حجر عثرة في وجه كل محاولة من هذا النحو ، محافظةً منهم على العقيدة البيزنطية القائلة بان القيصر هو رأس الكنيسة ، هذه العقيدة التي تجيش بها نفوسهم ، اذ خشوا عليها من نفوذ رومة وحد البابوات من سيطرتهم على الكنيسة . فالانفصال كان عندهم خير اداة واهمها على الاطلاق للسيطرة على روسيا جمعاء . وقد شجعهم على المضي في هذا النهج البعض من متروبوليتية موسكو انفسهم الذين لم يكونوا ليهتموا كثيراً او قليلًا برفع مستوى الشعب من الوجهة الدينية والادبية او الاجتماعية ، بل انغمسوا في السياسة وانصرفوا بكليتهم الى اعمال لا تمتّ الى رسالتهم بشيء . فقد كنا نرى في القرن السادس عشر مثلًا ، قرى روسية ترسف برمتها في مخازي الوثنية يتسكع الاهلون فيها في الترهات والاباطيل والخرافات المضحكة المبكية .

المجمع الفلورنتي واتحاد الكنائس الشرقية :

وفي مجمع كونستانسا المعقود في عام ١٤١٥ ، دهش اباء المجمع اذ شاهدوا متروبوليت كييف المطران غرغوريوس تسمبلاك ، يدخل عليهم ، ووراءه حاشية مهيبة . وانما قصد من ذلك اظهار عاطفته نحو العالم الكاثوليكي ، اذ لم يكن بعد تم أي اتحاد ديني بين الشرق والغرب .

وهذا الاتحاد تم في المجمع الفلورنتي ، سنة الف ١٤٣٩ ، وقد اشترك في اعداده متروبوليت كييف ، السيد ايسيدورس ، وهو يوناني الاصل من شبه

جزيرة الموره . وقبل ان يأتي الى المجمع قام برحلة في انحاء ابرشيته المترامية الاطراف ، كما زار ابرشيات موسكو وليتونيا وبلغ المجمع « قادماً من اطراف بولونيا » كما جاء في اعماله . وقد عُرف بنشاطه الزاخر في ادارة المجمع وهو جد مقتنع بضرورة الاتحاد بين الكنائس . وقد عاد الى روسيا بعد ان تمت رغائبه في الاتحاد وبعد ان سيم كردينالاً واخذ يدعو للاتحاد ويعمل على توطيده .

وقد قوبل رجوعه بكل مظاهر الحفاوة والترحاب حيثما مر : في بولونيا ومدنها الكبرى، ولتوانيا، وفيلنو، الى ان بلغ موسكو . وفي تلك الاثناء اصدر الملك لادسلاس الثالث ، ملك بولونيا وهنغاريا ، قراراً اعترف فيه للاكليرس اليوناني بذات الانعامات والامتيازات التي ينعم بها في مملكته الاكليرس اللاتيني ، اصدره قبل ان يشترك في الحملة الصليبية الاخيرة التي مات فيها امام اسوار مدينة فارنا . وكان الكردينال ايسيدورس يدعو الى الاتحاد ، يرفرف فوق موكبه علم البابا ويكرز برئاسة رومة وسيادتها الدينية . وما كاد الكردينال ايسيدورس يبلغ موسكو حتى قام الغراندوق باسيلي يرذل الاتحاد ويشجبه . وللحال دعا الاساقفة الى مجمع ، كان من قراراته ان حكم على المتروبوليت ايسيدورس وقطعه من شركة المؤمنين حسب رغبة الغراندوق الذي لم يفكر في ما سيجره عمله هذا من عواقب وخيمة على البلاد ، وبذلك اضاع فرصة سنحت لم يعرف ان يستفيد منها ، هيهات ان تعود بعد ، اذ حال دون انضمام شعبه الى كنيسة المسيح الواحدة، المقدسة ، الكاثوليكية ، الرسولية ، كما حال دون اقتباسه المدنية الرومانية الزاهرة مؤثراً ان تبقى الامة الروسية في مهاوي البربرية والجهالة تتسكع في الغباوة الى ان جاء القيصر بطرس الاول الكبير ، بعد ذلك بقرن ونصف ، يحاول جرها الى المدنية جراً ، على اسس علمانية مدنية وفاقاً لروح الدعوة اللادينية التي نادى بها القرن الثامن عشر .

حُكم على الكردينال ايسيدورس بالسجن فاستطاع بعد لأي من الزمن ، النجاة بنفسه والهرب الى ليتوانيا . فخلفه على الكرسي الاسقفي المتروبوليت يونان الارثوذكسي . وتوالى بعده عدد من الاساقفة اخذوا بالتذبذب والتعرج ، تارة الى اليمين بالوقوف الى جانب الكرسي الرسولي ، وطوراً الى اليسار بدعمهم موقف بطريرك القسطنطينية . وقد عمل الآباء الفرنسيسكان في اخريات القرن الخامس عشر على اذكاء روح الانضمام الى الكثلكة . وقد نَبَه اذ ذاك ، ذكر احد جدود نيافة الكردينال الحالي سابيتشا (Sapicha) بمساعاه المشكور في هذا الحقل ، الذي قام بالحج الى الاماكن المقدسة ونُصِب شمّاليه القدس الشريف .

الكنيسة في عهد الاصلاح البروتستانتي :

ولم نَرَ اي مسعى جديد نحو الاتحاد في عهد الاصلاح البروتستانتي . وما كادت تنتهي اعمال المجمع التريدنتيني حتى نشطت المساعي من جديد في هذا السبيل .

وقد لاقت حركة الاصلاح البروتستانتي في الجمهورية البولونية الليتوانية ما لاقته من الاقبال في البلدان الاوربية الاخرى ، حيث اعتنق المذهب الجديد كثير من الاتباع والمريدين . وقد حافظ سواد الشعب على ايمانه الكاثوليكي بينما تبع كثيرون من الطبقات المستنيرة الحركة الاصلاحية ، سواء اكانوا على الطقس اللاتيني ام على الطقس البيزنطي . وقد ساعدت روح التسامح التي اظهرها الملك سيجسمون اوغسطس على انتشار الدين الجديد ، بعد ان عرف بعدم رغبته في التحكم بالضمائر . وقد افضى هذا التساهل من قبل الملك الى تجنب البلاد الحرب الاهلية وويلاتها . ولم يمضِ جيل او جيلان على هذا الموقف حتى اخذت تزداد حركة الارتداد تبدو على اشدها بالرجوع الى الكثلكة زرافات

ووحداناً .

وقد تتبع الاساقفة اليونان في بولونيا هذه الحركة التطورية بكثير من العناية والرعاية ، ولحظوا بان حَفَدة وذراري اولئك الاشراف الارثوذكس الذين اعتنقوا البرتستانتية يرتدّون عن ضلالة آبائهم ، مفضلين اعتناق الطقس اللاتيني على الرجوع الى الارثوذكسية . فقد شاقهم ما رأوا في الكثلكة من نشاط عارم بينما الارثوذكسية في روسيا تتسكع في مهاوي الجهالة والخضوع للقيصر ، وترسف في العبودية له ، وهي في ذلك كله فريسة للسيمونيا ولفساد الضمائر والاخلاق من قبل بطاركة القسطنطينية . ولذا آثروا الانضمام الى الكنيسة الجامعة مع الاحتفاظ بطقوسهم الليتورجية وربط ما انقطع من الاتحاد الذي تم على يد مجمع فلورنسا الذي قرر ، فيما قرره من امور ، الحقوق المحددة لاتباع كلا الطقسين .

اعتلى العرش بعد الملك سيجسمون اوغسطس ، حفيده سيجسمون الثالث الذي كان كاثوليكياً غيوراً . وفي عهده قام اللاهوتي الشهير الراهب اليسوعي سكارغا (Skarga) الذي كان في آن واحد مرشداً للبلاط ولمجلس الامة ، بوضع مؤلف نشره باللاتينية والبولونية بعنوان : « وحدة كنيسة الله » . وبعد مداولات واجتماعات عديدة قرر الاساقفة الشرقيون ، برئاسة المتروبوليت ميشال راهوزا (M . Rahoza) رفع خضوعهم الى البابا اكلمنضوس الثامن الذي رحب برسولهم ايّما ترحيب واخذ في مجمع الكرادلة قراراً اعترف فيه برجوع الكنيسة الارثوذكسية في بولونيا الى وحدة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، مع احتفاظها بطقوسها الدينية وحقها القانوني . وقد نودي بهذا الاتحاد في المجمع الذي انعقد في مدينة برست من اعمال بولونيا ، في تشرين الاول سنة ١٥٩٦ ، ووقع على اعماله المتروبوليت وخمسة من الاساقفة وخمسة من الارشمندريتية .

ومن مظاهر التسامح الديني واحترام الحرية الدينية للجميع في بولونيا ان جرى في المدينة نفسها مجمع معاكس اخذ يعمل على مناهضة الاتحاد ، تألف من اساقفين ومن بعض اصحاب الرتب الكنسية ، وذلك بدافع من الدوق اوستروغسكي (Ostrogski) الذي كان في اول عهده من اكبر الداعين الى الاتحاد .

وقد وقفت الحكومة البولونية موقفاً محايداً من اليونان المنشقين والمنضمين بعد ان اشتد الجدال بينهم . وقد نَبَهَ بين المنضمين ذكر الرهبنة الباسيلية بعد ان تم اصلاحها ، كما نَبَهَ بين الارثوذكس اساتذة اكاديمية نوهيلاس في مدينة كييف ، هذه الاكاديمية التي نشأت في مطلع القرن السابع عشر في بولونيا بينما كانوا يرددون في موسكو ، اذ ذاك : « ان الله لا يرغب في رؤية المدارس في روسيا » . وكان المتجادلون يكتبون ردودهم باللغة البولونية ويعتمدون على براهين وادلة يستمدونها من الآباء المدرسيين في الاجيال الوسطى .

وقد تعطلت لغة الكلام فيما بينهم فجرى الدم وسال بكثرة ، كيف لا والعصر عصر حروب دامية دارت رحاها على اراضي بولونيا الشرقية . ومن اذكى تلك الضحايا التي ذهبت فريسة التعصب الديني هو الارشمندريت يوشافاط كونشفيتش (J . Kuncewicz) الذي قتله احد المنفصلين المغالين بالعقيدة الارثوذكسية ، في مدينة فيتبسك ، وذلك في ١٢ تشرين الاول سنة ١٦٢٣ . وفي عام ١٨٦٧ اعلن البابا بيوس التاسع ، قداسته فكان اول قديس يرفع على الهيكل من بين اليونان المتحدين في بولونيا . وليس بمقدور احد ان يحصي المئات والالوف الذين جادوا بارواحهم دفاعاً عن ايمانهم او ذهبوا ضحية استمساكهم باهداب الدين الكاثوليكي . وقد استشهد كثير من الكاثوليك اللاتين ، اشهرهم الاب اليسوعي القديس اندراوس بوبولا ، عام ١٦٥٧ . فلم تذهب هذه الضحايا الذكية جزافاً ، اذ انمت الزرع الذي سقته حتى ان قتلة

القديس يوشافاط ارتدوا الى الايمان الحقيقي . كما ان احد الجدليين المنفصلين اعتنق الايمان الكاثوليكي ، واصبح من ابرز الكتاب فيما بعد ، ومن اشهرهم على الاطلاق ، هو سموترتسكي .

استقلال بولونيا وازدهار الكنيسة اليونانية المتحدة :

وكانت بولونيا القطر السلافي الوحيد الذي نعم في القرن السابع عشر بالوحدة الدينية على الطقس البيزنطي وتدرج في معارجها . فقد تألفت الكنيسة البيزنطية فيها من متروبوليت وستة احبار ، وذلك في القسم الشمالي من البلاد ، بينما القسم الجنوبي منها كان خاضعاً للكنيسة الارثوذكسية التي كانت تتألف من القوزاق . ولم يتم رجوعهم الى حجر الكنيسة نهائياً الا في اواخر القرن السابع عشر وبدء القرن الثامن عشر ، وذلك بفضل الملك يوحنا سوبياسكي الثالث الذي يعود اليه الفضل في انقاذ مدينة فينا من الاتراك العثمانيين الذين كانوا يحاصرونها في اواخر القرن السابع عشر ، فوقف بانتصاره هذا حاجزاً في وجه تقدم الاسلام والهلال في اوربة . وعلى الاثر ، قدم الاساقفة الشرقيون في بولونيا خضوعهم للكرسي الرسولي بتوقيعهم صك الانضمام الى رومة . وفي عام ١٧٢٠ ، عقدوا مجمعاً كبيراً في مدينة زاموسك ، اخذ على نفسه تنظيم الاتحاد الديني في الجمهورية البولونية ، فوافق الحبر الاعظم على اعماله وهي لا تزال الى اليوم القانون الذي تسير عليه متروبولية لفوف . ولم يتخلف عن الاتحاد سوى عدد قليل من المؤمنين لبثوا على الارثوذكسية يدير شؤونهم الدينية رئيس روحي برتبة ارشمندريت .

وبالرغم من هذا التقدم الذي قطعه الاتحاد فعاد على البلاد ، من الخارج ومن الداخل ، بمنافع جزيلة ، فقد عانى مصاعب عديدة خلال الحرب التي شنها

القيصر بطرس الاكبر على القسم الشمالي من البلاد حيث أخذ في اضطهاد الكاثوليك ، ومثّل ابشع تمثيل بعدد كبير من الكهنة والمؤمنين وهم يحتفلون بمناسكهم الدينية بالقرب من مدينة بولوتسك .

واخذت عدوى الاتحاد تتصل في القرن الثامن عشر بهنغاريا التي كان يقطن في قسمها الشرقي الروتانيون والرومانيون وكلهم على الطقس السلافي . وما كادت هذه المقاطعات تنجو من نير الاتراك بفضل امبراطور النمسا حتى دخلتها ايضاً حركة الارتداد والاتحاد . وقد شجعها على ذلك عطف قداسة البابا ورعايته ، اذ انشأ اسقفية جديدة للروتان المتحدين مركزها في مدينة مونكاتشيفو بلغ عدد المؤمنين التابعين لها عام ١٩٣٨، نحواً من ، ٧٥٠٠٠٠ كما انشأ في مدينة اوريد ماريه (Oread – Maré) كرسي متروبولية رومانت بلغ عدد المؤمنين فيها مليونين تقريباً .

حالة الكنيسة بعد زوال الدولة البولونية الاولى :

كان من جراء اقتسام بولونيا المتتابع ، عام ١٧٧٢ و ١٧٩٣ و ١٧٩٥، ان حل بالكنيسة اليونانية فيها نكبة نكباء على يد الامبراطورة كاترين مناصرة الفلاسفة الملحدين في هذا العصر . ففرضت الاقامة الجبرية على المتروبوليت روستوفسكي وارغمته على السكنى في بطرسبرج ، وابعدت باقي الاساقفة عن كراسيهم ووكلت بها الى اسقف ارثوذكسي يدعى صوكوفسكي وسيق الى الارثوذكسية خورنيات بكاملها . اما الكهنة وجمهرة المؤمنين فقد لاقوا من العذاب امرّه وذاقوا من الاضطهاد اصنافاً والواناً ، حتى اضطر بعضهم الى اعتناق الطقس اللاتيني هرباً من نقمة الارثوذكس .

واستطاعت الكنيسة اليونانية المتحدة في بولونيا ان تتنفس الصعداء في

عهد الامبراطورين بول الثالث (١٧٩٨ - ١٨٠١) ، واسكندر الاول (١٨٠١ - ١٨٢٦) ، اذ تمكنا من اعادة العلاقات مع الكرسي الرسولي الذي اوفد فيما بعد ، سفيراً بابوياً الى بطرسبرج عهد اليه بتنظيم الكنيسة الكاثوليكية في روسيا . فبعد ان وضع للكنيسة اللاتينية نظاماً خاصاً بها، عيّن ايضاً للكنيسة اليونانية المتحدة هيئتها العليا التي تألفت من متروبوليت واسقفين اعترفت الحكومة بهما رسمياً . وارتبطت ادارتها رأساً برومة . اما المتروبوليت الجديد فقد كان المطران بولهاك الذي اتصفت شخصيته باحسن المناقب الكهنوتية ، الا انه لم يكن لسوء الحظ رجل الساعة المرتجى .

وقد هبط عدد المؤمنين في الكنيسة اليونانية المتحدة من جراء الاضطهاد العنيف الذي اصلتها به الامبراطورة كاترين واصبحوا اقلية في البلاد ، اذ تليتن عدد كبير منهم بعد ان وحّدت مظاهر كثيرة بين الاكليرس اللاتيني والاكليرس البيزنطي من حيث الزي وحلق اللحى واقتباس بعض مظاهر الطقس اللاتيني ، كالعبادة لقلب يسوع الاقدس ، وقرع الجرس اثناء الخدمة الالهية . الا ان اللغة الطقسية ظلّت اللغة السلافية القديمة . وكانت الطبقات المستنيرة ولا سيما رجال الاكليرس يستعملون في حياتهم الخاصة اللغة البولونية ، بينما اللهجات القومية واخرى كالروتانية والروسية البيضاء أقصِر استعمالها على طبقات الشعب الدانية . وقد نَبَهَ بين اليونان المتحدين ، اذ ذاك ، ذكر الفارس الشهير موهور (Mohort) الذي قضى نحبه في الحرب ضد روسيا سنة ١٧٩٢ ، واصبح البطل الذي تغنّى به الشاعر البولوني فنسان بول ، والكاهن بلاسيد جانكوفرسكي وهو كاتب هزلي قام بترجمة بعض مسرحيات شكسبير الى البولونية تحت الاسم المستعار « جون ديكالب » .

وقد ساهم اتباع الكنيسة اليونانية بوصفهم بولونيين ، في الثورة البولونية

التي نشبت عام ١٨٣٠ . الا ان القيصر نيقولا الاول خنقها بالدم والنار حتى انه قرّر القضاء على الاتحاد دفعة واحدة ، ليس لاسباب دينية ارثوذكسية فحسب بل ايضاً لاسباب سياسية قضت بها مصلحة الدولة العليا . وقد ساعده على ذلك رجل وجد منه اداة طيّعة بين يديه ، هو المطران سيماز كو (Siemaszko) وهو رجل عُرف بنشاطه ومقدرته وهزئه بواجباته الدينية . وما كاد المتروبوليت بولهاك يقضي نحبه حتى اصبح سيماز كو بفضل رعاية القيصر وعطفه ، رئيساً للكنيسة اليونانية المتحدة التي انقطعت في عهده عن الاتحاد بروما وانضمت الى الكنيسة الارثوذكسية المنشقة وذلك عام ١٨٣٩؛ ولكي يخلد ذكر هذا الانفصال عمد سيماز كو فاوصى بصنع مدالية تذكارية كتب عليها مايلي : « انفصلوا بالقوة فعادوا الى الوحدة بالمحبة ». وهي « محبة » من نوع خاص لعمري، اذ حيل قسراً بين الكهنة والرهبان والراهبات وبين جمهور المؤمنين ، وابعدوا بالقوة الى الاديار الارثوذكسية النائية عرضة للعسف والاضطهاد وسوء المعاملة ، بعد ان عهد بامر المؤمنين الى كهنة روس ارثوذكس . وقد حظر عليهم القانون اعتناق الطقس اللاتيني حتى ان الاسر التي تعدّ بين اجدادها احداً من اليونان المتحدين عدت ارثوذكسية رغماً منها . وقد ترك لنا وصفاً لهذا الاضطهاد الدامي يتزل بالراهبات الباسيلية ، الشاعر البولوني سلوفتسكي الذي زار لبنان في ربيع سنة ١٨٣٦ ، كما نوّه به ايضاً هو نفسه في احدى مؤلفاته الاخرى الموسومة : « Messire Beniowski » وصف فيه ايقونة مريم العذراء العجائبية الموجودة في دير بوتزادرف ، احد اديار الطائفة في تلك البلاد ، الذي صادره الارثوذكس اذ ذاك . والفقيه الروسي المشهور فلاديمير سباسوفتش الذي اشتهر ايضاً ككاتب نقاد وفيلسوف باللغة البولونية يعود باصله الى احد الاسر التي حملت قسراً على الارثوذكسية . واليه يشير دوستويفسكي في روايته : « الاخوة كارامازوف »

تحت اسم فاتيو كوفتش .

الى هذا المصير المؤسف آلت الكنيسة اليونانية المتحدة في بولونيا بعد ان تألق عملها المجيد وازدهى باسطع الانوار . ولم يبقَ منها الى حين ، الّا مطرانية واحدة هي مطرانية شَلم (Chelm) الواقعة في « مملكة بولونيا » المتحدة مع الامبراطورية الروسية ، عام ١٨١٥ ، فتمتعت ببعض الحرية حتى بعد الثورة البولونية التي نشبت عام ١٨٦٣ . وقد استغرق القضاء عليها بعض الوقت ، ولم تنقضِ سنة ١٨٥٧ حتى كانت هذه المطرانية اثراً بعد عين . ولم تكن المساعي التي قام بها زعيم الثورة تروغوت « Trauguth » لدى الكرسي الرسولي لاعلان قداسة القديس يوشافاط ، بغريبة عن هذا المصير المرير . وقد وُجد اذ ذاك في شلم كما وجد من قبل ١٨٣٩ ، بعض رجال الاكليرس المرضى الاخلاق والنفوس الذين عملوا على تسهيل العمل وتمهيد الطريق باقصاء المؤثرات اللاتينية . واذ تم كل شيء على الوجه المرغوب فيه اعلنوا ان الابرشية تعود الى الكنيسة الارثوذكسية . وكان نصيب رجال الاكليرس ، الذين رفعوا عقيرتهم بالاحتجاج على هذه الاعمال ، النفي والابعاد والتشريد الى مجاهل روسيا ، كما اصاب جمهور المؤمنين كثير من اعمال العسف والاضطهاد .

وقد وقف الشعب في وجه هذه الحركة وقاومها بعنف هذه المرة اكثر من كل مرة من قبل . فقاطع الكهنة الروس الارثوذكس المقامين على خدمته الروحية ولم يرضَ ان يتقبل على ايديهم اية خدمة دينية . فكانت اعمال تنصير الصغار تتم في البيوت ودفن الموتى تجري ليلًا ، كما كانوا يجتمعون خفيةً للاحتفال بالخدمة الالهية ، وعهدوا الى كهنة من الطقس اللاتيني ليقوموا بمراسيم الزواج الدينية . وقد حظرت الحكومة القيصرية على اي كان اعتناق الطقس اللاتيني كما منعت كهنة اللاتين من تأمين الخدمة الروحية لهم تحت طائلة السجن واقسى

العقوبات التأديبية . ومع هذا فلم يتقاعس قط اي كاهن لاتيني عن القيام بواجبه عند ما يطلب اليه ذلك . وسهّل الكرسي الرسولي من جهته كل ما يلزم وما يؤول الى المحافظة على ايمان هذا الشعب الحي ، موسعاً له وللكهنة الانعامات والامتيازات مزوداً له بمرسلين من الكهنة بين علمانيين وآباء يسوعيين ، يتفانون في خدمته وتأمين اسرار الكنيسة ، يدخلون البلاد خفية ويتغلغلون بين طبقات الشعب .

استمرت هذه الحالة الباعثة على اليأس والمنشطة للهمم في مقاطعة شلم زهاء ثلاثين سنة اذ اصدرت الحكومة القيصرية في مطلع القرن العشرين مرسوماً عرف بمرسوم التسامح الديني ، ابقى الاتحاد محظوراً واعطى الارثوذكس حرية تغيير دينهم . فانتهز اليونان ، في مقاطعة شلم ، هذه المناسبة لاعتناق الطقس اللاتيني بالجملة بالرغم من العراقيل الادارية الجمة التي اقاموها في وجههم . ولم يعتم الاسقف اولوج الذي عرف بتحريضه السلطات على اضطهاد هذا الشعب في ايمانه العامر الا ان رأى نفسه وحيداً ليس الى جانبه سوى بعض كهنة روس ارثوذكس وبعض الموظفين الذين اتوا بهم من مجاهل روسيا .

الكنيسة اليونانية المتحدة في النمسا :

اما القسم الآخر من الكنيسة اليونانية الذي صار امره الى النمسا بعد اقتسام بولونيا فكانت حاله غير الحال التي وصفنا . فقد تألفت الكنيسة فيها من ابرشية لفوف وبرزمسل الواقعتين في غاليسيا الشرقية ، ثم صير فيها الى انشاء ابرشية ثالثة في اواسط القرن التاسع عشر بعد ان اجرت فيها رومة تنظيماً جديداً رفعت معه احدى هذه الابرشيات الى كرسي متروبوليت . فزادت في الكنيسة المذكورة حركة اعتناق الطقس اللاتيني . وكان الزائر الذي يدخل صالة

الدار الاسقفية في لفوف يرى الى الجدران رسوم الاساقفة في عهد الجمهورية البولونية مرتدين حللهم الكنسية على الطقس البيزنطي، بينما يبرز من جاء منهم في عهد الحكم النمساوي ببزاتهم الكنسية حسب الطقس اللاتيني. ولم يعودوا الى الاحتفاظ باللحية وبالبدلة الشرقية الا في عهد المطران شبتسكي (Szepticki). كذلك ساعد العهد النمساوي على رفع المستوى الثقافي والمادي في الاكليرس الوطني وساوى بينه وبين الاكليرس اللاتيني، وانشأ في جامعة لفوف كلية لاهوتية وكلية علمانية اخرى قامت في طول البلاد وعرضها. وقام اليسوعيون بحركة اصلاحية تناولت فيما تناولته، الرهبانية الباسيلية التي كانت تدير عدة مدارس طائفية. واعتلى كراسي الابرشيات المختلفة اساقفة مشهود لهم بالفضل والتقى اشتهر بينهم اثنان على الاخص هما الكردينال ليفيكي والكردينال سمبراتوفتش.

لم تكن هذه الانعامات والامتيازات العريضة تُسبَغ على الطائفة اليونانية في النمسا بريئة القصد. فقد كانت ترمي في الاساس الى استجلاب انظار اخوانهم فيما وراء الحدود عملاً بالقاعدة «فرّقْ تَسُدْ» اذ، كثيراً ما استعمل أولو الامر في النمسا المحرك الديني تكأة لبلوغ اهداف سياسية بعيدة المرمى. وكانت الطبقات المستنيرة في الوقت الذي صارت فيه غاليسيا الى النمسا تشعر في صميمها بانها اقوام بولونية العرق تتكلم اللهجة الروتانية، وهي لهجة وسيطة بين البولونية والروسية. كانت اوربة طيلة القرن التاسع عشر تشرئب اقوامها المستضعفة واقلياتها المضطهدة الى الحرية والاستقلال. ولا عجب في ذلك قط. انما الذي يدعو الى الاسف المرير والاستغراب ان يعمد النمساويون الى استثمار الفوارق الطقسية ليحملوا الروتانيين والاوكرانيين على الانتفاض ضد البولونيين. وكوّنت خورنيات الكنيسة اليونانية المتحدة الخلايا الاصلية التي تمركز حولها الوعي القومي الوطني في تلك المقاطعة البولونية الاصل. وكان معظم الكهنة

فيها علمانيين ، يولون القسم الاكبر من عنايتهم ورعايتهم القضايا السياسية والقومية دون الاهتمام بقضايا الدين التي كثيراً ما هُدِرت في سبيل تأمين مصالح ابنائهم وبناتهم . ولذا ، ما كادت تطل شمس القرن العشرين حتى كان المستوى الديني في هذه الطائفة لا يبعث كثيراً على الرضى والارتياح .

ومن بين هذه الطائفة وطوالع حظها المجدود ان يصير امر رئاستها حوالي سنة ١٩٠٠ ، الى المتروبوليت اندراوس شبتسكي (Szepticki) الذي رأى النور عام ١٨٦٥ في عائلة روتانية عريقة في الحسب والنسب تعرّقت بالعرق البولوني ، منذ عهد سحيق ، بينما كان اخوه قائداً في الجيش النمساوي ثم صار بولونياً فيما بعد . ولم يلبث ان تخلّق المتروبوليت المذكور باخلاق اسلافه الأُوَل من الروتان . وقد نظروا اليه في بادىء الامر نظرة ملؤها الريبة لانتهاجه نهج الارستقراطية البولونية مما اثار في وجهه المصاعب والعراقيل . الا انه لم يعتم به الامر ، بعد لأي من الدهر ، حتى اخذوا ينظرون اليه ليس رائداً من رواد الاتحاد فحسب ، بل زعيماً قومياً من زعماء الشعب الروتاني .

ومن بين الاهداف الرئيسية الكبرى التي استهدف لها : تحقيق الاتحاد الديني ، رفع مستوى رعاياه الخلقي والثقافي والديني وحمل نعمة الاتحاد الى ما وراء الحدود الشرقية ، الى روسيا جمعاء . ولذا نراه يسير بتؤدة وهوادة . فبدلاً من ان يمضي في ليتنة الاحتفالات الطقسية ، عمل على احياء ما اندثر من مراسيم الطائفة القديمة . فاستبقى التقويم اليولياني وشجع الرهبان العلمانيين على الاعتصام بالتبتل دون ان يقسرهم على ذلك ، وقام متخفياً بعدة رحلات الى روسيا ، استطاع معها ان يتبين بنفسه مقدار ما يكمن من النجاح في الدعوة الى الاتحاد .

وقد انهالت على الكنيسة اليونانية المتحدة اثناء الحرب العالمية الاولى ضربة قاصمة ، اذ قام الروس باحتلال لفوف ومقاطعة غاليسيا . فأخذوا ينثرون

الوعود والورود لاتباع هذه الكنيسة فيما لو اعتنقوا الارثوذكسية وانفصلوا عن رومة . وقد صمد الشعب امام هذه الوعود المسمولة الخلابة . غير ان المتروبوليت اضطر الى التوجه الى كييف حيث بقي حتى انهيار النظام القيصري . وقد اتاحت له اقامته في عاصمة اوكرانيا القديمة انشاء علاقات ربطته ربطاً محكماً بالحركة الاوكرانية القومية التي لم تقف مكتوفة اليدين في النضال الناشب ضد الشيوعية ، عام ١٩٢٠ .

عودة بولونيا الى الاستقلال والكنيسة الى الازدهار : المتروبوليت شبتسكي .

عادت بولونيا الى الوجود، عام ١٩١٨ ، فعادت اليها متروبولية لفوف وغيرها من المقاطعات البولونية الاخرى التي خضعت من قبل للروس ، حيث كان قضي على معالم الاتحاد مع رومة في احداث سنة ١٨٣٩ و ١٨٧٥ . وما كادت تستقر امور الجمهورية الفتية حتى عاد الاتحاد عودته الاولى كما كان قبل اقتسام بولونيا . وقد اعترفت المعاهدة الدينية المعقودة عام ١٩٢٥ بين الكرسي الرسولي وبين الجمهورية البولونية كما اعترف دستور البلاد نفسه للكنيسة البيزنطية وللكنيسة الارمنية بذات الحقوق والامتيازات التي اعترف بها للكنيسة اللاتينية . فكان البابا ينتخب الاساقفة كما كان هؤلاء ينتخبون بدورهم كهنتهم . ولم يكن هنالك ما يثير اي مشكلة مع رومة قط .

وكان يتولى تهذيب الكهنة واعدادهم اكليريكيات خاصة . وسمح لجميع الرهبانيات المأذونة باستئناف نشاطها تحت مراقبة مراجعها العليا المختصة . وكانت الدولة ترصد المخصصات لرجال الاكليرس ، والديانة الكاثوليكية تلقي دروسها في المدارس من رسمية وخاصة ، سواء أكانت ابتدائية او ثانوية ، تحت اشراف الاساقفة انفسهم . وكان كهنة الاكليرس الملكي المتحد يقوم كصنوه

الاكليرس اللاتيني بالخدمة الروحية في الجيش ، كما هي الحال اليوم في جيش الجنرال انديرز .

وموجز القول ، فقد عادت البلاد تتنفس في عهد الدولة البولونية الجديدة، جو التساهل الديني والتسامح الذي عرفته من قبل ، وفاقاً لما عزف من تقاليدها القومية الحرة . ولم يكن الامر ليخلو احياناً من مصاعب تعترض السير السوي فتعكر بعض الشيء الصفاء الذي يعبق به الجو الديني ، وذلك حتى بين الحكومة والكنيسة اللاتينية التي كانت مع ذلك الكنيسة الرسمية . وهي حوادث عادية بسيطة تجري حتى بين الاسر الاكثر وئاماً واتفاقاً واتحاداً . وكثيراً ما نرى الخصومة القومية بين البولونيين والاوكرانيين تنعكس اصداؤها على القضايا الكنسية .

فلا عجب ان تبلغ الكنيسة اليونانية المتحدة في هذه الحالة من الازدهار ما لا قِبَل لها من قبل . فقد زادت ابرشياتها ابرشية جديدة تكوّنت من بعض اجزاء ابرشية برزمسل الغربية . وقد دلت احصاءات سنة ١٩٣١ على ان عدد المؤمنين فيها بلغ نحواً من ٣٣٦،٢٢٠ توزعوا بين ١٩٨٣ خورنية ، ويتولى امورهم الدينية متروبوليت وستة اساقفة اصليين او مساعدين ، يعاونهم ٢٢٩٩ كاهناً و ٦٣٤ طالباً اكليريكياً . وتعد هذه الكنيسة اليوم ٢٦ ديراً فيها نحو ٥٢٤ راهباً و ١٢١ ديراً للراهبات تضم ١٠٦٥ راهبة . وطبيعي ان يزيد هذا العدد عام ١٩٣٩ ، على ما ذكرنا بعض الزيادة .

واتسمت الكنيسة الملكية المتحدة بكونها كنيسة روتانية قومية بالرغم من اقلية بولونية تبعتها بلغ عددها ٤٨٠،٠٠٠ اي ١٥ ٪ من عدد المؤمنين فيها . اما اللغة الليتورجية فهي السلافية القديمة بينما الاحتفالات الدينية الشعبية تجري باللغة الروتانية المستعملة ايضاً في جميع مراسيم الادارة الكنسية

وما اليها من تعليم ديني لاهوتي يتم تلقينه باللاتينية واليونانية .

ويبذل المتروبوليت شبتسكي نشاطاً غريباً في كل مرافق حياته الدينية والقومية بالرغم من العاهة التي تقعده عن العمل من جراء شلل في ساقيه يسمّره في محله لا يستطيع معه الحركة الا بواسطة عكازات . ويأتي بعده من حيث النشاط بين رهط اساقفة الطائفة المذكورة المطران شومتشين (Chomyszyn) اسقف ستانسلافوف فقد قام بتأسيس جمعيات كثيرة تقوم باعمال البر والاحسان وبنشر عدد كبير من الجرائد والمجلات . وقد ازدهرت بعض هذه المؤسسات التقوية فبلغ نشاطها ادنى الطبقات الشعبية . وقد انشأ المتروبوليت معهداً عالياً تألف من كليتين : احداهما لتدريس الفلسفة والاخرى لتدريس العلوم اللاهوتية ، تحت ادارة العلامة الاب سليبي . وتتولى كلية اللاهوت اصدار مجلة تعرف بـ « المجلة اللاهوتية » وهي لسان حال المعهد المذكور . ونشط الآباء الباسيليون من جانبهم الى العمل في هذا الحقل فنشروا « رسالة باسيليوس الكبير » كما ان كثيراً من خوارنة الطائفة ينشرون مقالات ودروساً ممتعة الابحاث في المجلات التي يتولى نشرها الآباء الفرنسيسكان ، تتعلق بالقضايا الكنسية والدينية . ومما يؤسف له جدًّا ان بعضهم لم يعرف ان يوقف قلمه ولسانه عن بعض المزالق فتورط في مهاوي الدعاوة الالمانية واخذ يهاجم بولونيا ويطعن في لِبدتها .

وقد كان للمحاضرات الدينية التي تمشت الكنيسة البيزنطية المتحدة على اقامتها في مدينة فيلهراد ، من اعمال تشيكوسلوفاكية ، شهرة واسعة بعد ان دأب المتروبوليت على حضورها بنفسه قبل نشوب الحرب عام ١٩١٤ ، يوم كانت صحته تساعده على ذلك . وما ان استؤنفت سوقها من جديد ، عام ١٩١٩ ، حتى اخذ يرسل اليها من قبله كهنة يشتركون في ما يلقى فيها من

بحث وجدل . وما ان شرع اسقف بنسك اللاتيني، سيادة المطران لوزنسكي ، المتوفى عام ١٩٣٢ برائحة القداسة ، في تنظيم اجتماعات جولية للنظر في اتحاد الكنائس الشرقية ، حتى اخذ بعض كبار رجال الاكليرس في لفوف يشتركون في اعمالها ومناقشتها ، بينهم الاسقف المساعد بقزقو (Buczko) وسليبي رئيس المعهد الآنف الذكر .

اما في ما عدا متروبولية لفوف ، فقد كان عدد اتباع هذه الكنيسة قليلاً جداً في بولونيا ، وهم كناية عن بعض الجوالي الروتانية وبعض المأمورين او الموظفين وغيرهم من الارثوذكس المنشقين الذين ارتدوا الى الايمان الكاثوليكي ، وليس من يجهل بان الاراضي التي أقطعتها لبولونيا معاهدة الصلح المعقودة بينها وبين روسيا ، عام ١٩٢١ تضم نحواً من مليونين من الروم الارثوذكس ، كان اجدادهم فيما مضى ، من اتباع الكنيسة اليونانية المتحدة فسيقوا الى الانفصال سوقاً ، عام ١٨٣٩ . ونرى بينهم اليوم ، حركة قوية الى الاتحاد ، غير ان معظمهم يرغب في ان يعتنق الطقس اللاتيني ، بينما نفر قليل جداً يرغب في العودة الى طقسهم البيزنطي القديم . ويتألف من هذا الشتيت اليوم ، عدة خورنيات انيطت امورها الدينية بالسلطات الكنسية اللاتينية ، ثم رأت رومة ان تعين لهم زائراً رسولياً في شخص المطران تشارنيكي يساعده في الخدمة الروحية الاباء اليسوعيون في كلية فيلنو ودير الكبوشيين القائم في ابرشية بنسك ، ثم صير الى انشاء اكليريكية في مدينة دوبنو (Dubno) . وقد بلغ عدد هذا الفريق ، عام ١٩٣٩ ، نحواً من ٢٠٠٠٠ ، وهم يتميزون عن اخوانهم في متروبولية لفوف بكون طقوسهم الدينية ليست مشوبة بطقوس لاتينية . ويعرفون رسمياً بالطائفة السلافية البيزنطية .

وهنا يحق لنا ان نتسائل هل كان بالامكان ان نعلل النفس باستئناف اتحاد برست وبرجوع الكنيسة الارثوذكسية في بولونيا الى الكنيسة الكاثوليكية ؟ ان ما صارت اليه الحال بعد انهيار القيصرية الروسية وبروز الشيوعية رأساً ، جعلت محتملاً امراً كهذا لو شاءت الحكومة البولونية الخروج عن الخيدة التي عرفت بها واستعمال شيء من قوة الضغط . فقد آثرت مع ذلك ان لا تتدخل بامور دينية محضة وقنعت من الامر باعتراف بطريرك الفنار في القسطنطينية باستقلال الكنيسة الارثوذكسية في بولونيا ، اذ لايخفى على احد ان اساقفة هذه الكنيسة واتباعها لم يكونوا على ما يجب ان يكونوا عليه من التهيؤ والاعداد للقيام بخطوة من هذا النوع . فمن الغلو في الرأي ان نتوقع مثلاً اعترافهم برئاسة البابا برضى وطيبة خاطر ، وان كان يبدو في الافق البعيد بعض ومضات تجعل الامل يلتمع حيناً بعد حين . فقد اخذت هذه الكنيسة الارثوذكسية ، بعد ان تحررت من استبداد قياصرة روسيا تتطور ناشدة الاصلاح والاخذ باسبابه ، ولاسيما بين رجال الاكليرس انفسهم فيقتني الشعب بالتالي ، اثرهم وخطاهم . وبعد ان يستمسك بعروة هذ الاصلاح ينبعث في ثنايا النفس الشوق المبرح الى الاتحاد بالكنيسة عملاً بقول الآية الكريمة : « راعٍ واحد وحظيرة واحدة » .

فاذا ما اردنا ان نوجز الآن ما كانت عليه الكنيسة المتحدة في بولونيا ، شأنها في هذا شأن الكنيسة الارمنية الموجودة ضمن متروبولية لفوف والتي تعد نحواً من ٦٠ الفاً من الاتباع ، صح لنا ان نقول بانها زهت وازدهرت في عهد عبق جوه بالحرية التامة ، حتى امكننا عدُّ هذا العصر بعصرها الذهبي على الاطلاق ، تمكنت فيه من تركيز حياتها الداخلية ، هذه الحياة التي تميزت بخصب الدعوات الدينية ورعاية التبتل في الكهنة وانماء الاعمال التقوية ومنشئات

البر والاحسان بين المؤمنين . كل ذلك كان خير اعداد لهذه الكنيسة لتتحمل بصبر وثبات المحنة التي كانت على وشك ان تحل بها بعد حين .

الكنيسة في عهد الاحتلالين الروسي والالماني :

ادت الحرب التي فجرت عام ١٩٣٩ الى اقتسام بولونيا الجائر وفقاً للاتفاق الذي وضعه ريبنتروب مولوتوف . وبحسب نصوص هذا الاتفاق واحكامه دخل معظم مقاطعة لفوف والكنيسة البيزنطية المتحدة القائمة عليها، ومعها الكنيسة الارمنية ، تحت سيطرة البلشفيك الملحدة . وقد انقطع هذا الاحتلال فترة من الدهر ، مع الهجوم الالماني ، عام ١٩٤١ . ولم يلبث الامر حتى صير الى استفتاء رسمي ، معروفة احواله واساليبه لدى الجميع ، الحقت معه هذه المقاطعة باوكرانيا السوفياتية .

ليس هنا مجال للتدليل بان الشيوعية حركة ملحدة ، ولذا ، لا يمكن لها من حيث المبادىء الالحادية التي تقول بها، الا ان تكون معادية لكل دين . وليس من يجهل بعد اليوم الاضطهاد العنيف والحرب العوان التي اطلقتها على الكنيسة الارثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية في كل اقطار الاتحاد السوفياتي ، وقد فرضت الشيوعية فرضاً في القسم البولوني الذي احتله البلشفيك . فنتج عن ذلك اعتقال مئات الالوف من البولونيين والاوكرانيين او ترحيلهم الى المعتقلات النائية الواقعة على ضفاف المتجمد الشمالي حيث يعملون في الاشغال الشاقة المرهقة ، الى ان يأتيهم الاجل المحتوم . عديدون جداً من حُكم عليهم بالموت حالاً ، على الطريقة التي يحسن الاخذ بها جيداً العدل السوفياتي الذي بلغت اخباره القاصي والداني معاً .

وقد كان في عداد هؤلاء البائسين بضع مئات من الكهنة بين يونانيين

وارمن ولاتين ، وبعض اساتذة الاكاديميا الذي قتلوا رمياً بالرصاص . وقد صادرت السلطات ما للكنائس من مال واوقاف، وطُرد اسقف لفوف اللاتيني من داره الاسقفية ، بينما ترك المطران شبتسكي وشأنه في قصره ، نظراً لما يتمتع به من شعبية عظيمة . وقد حُظِر تعليم الدين في المدارس التي اصبحت على الاثر منابت للضلالة الشيوعية . فاذا ما تمرد احد الاولاد على الاوامر المعطاة زُجَّ في غياهب السجون. نعم انهم لم يصادروا الكنائس بالجملة في بادىء الرأي ، انما ارهقوها بالضرائب والرسوم تنفيراً للشعب واستبعاداً لجمهرة المؤمنين . وبالاجمال فقد اعتمدوا في اضطهادهم هذا ، كل ما تفتقت عنه مخيلتهم الشيطانية من اساليب الدهاء ، واستقطروا في بولونيا ذات السموم التي خبروا فاعليتها في روسيا جمعاء ، حيث زالت كل معالم الدين وتوارت مظاهره عن وجه الارض .

تبدو صحة المتروبوليت في اول ايلول عام ١٩٣٩ ، في حالة من المسكنة تدعو الى الاشفاق والاسى . فقد اقعده الشلل عن الحركة منذ عهد بعيد وستّر في كرسيه . وعصته يده اليمنى ، وكان يتعذر عليه استعمال اليسرى احياناً .وقد كان من حق هذا الشيخ الجليل البالغ من العمر ٧٤ سنة ان يطلب معه معاوناً يحمل عنه بعض الاعباء لو كانت الحالة السياسية في البلاد طبيعية . الا ان الموقف كان من الحرج والخطر بمكان عظيم . فقد تغلب بصلابة خلقه على عاهته التي عطّلته واقعدته ، وواجه الحالة بكثير من الحكمة ورحابة الصدر وبرباطة جأش نادرة للغاية ، الى شيء من الكِبَر والإباء والشمم جعلته من ابرز امراء الكنيسة .

فقد ادرك اكثر من سواه ما تبطنه الدعوة البلشفية بندائها الى « الثقافة » الاجتماعية ، من اهداف وغايات . وقد ادرك ان مجيء الشيوعيين يعني

ليس تحرير الروتانيين من نير البولونيين كما يزعمون بل جرّ الدمار عليهم واذلالهم تحت عبودية مرهقة : فهم يمثلون رواية . فاسمعه يقول : « يدرك شعبنا تمام الادراك ، ان النهج الذي ينهجه السوفييت نحوه ، انما يرمي في الصميم ، الى القضاء قضاء تاماً على معالم القومية الروتانية . »

وقد عبر عن ذلك كله ، في ايلول سنة ١٩٣٩ ، في نشرته الرعوية ، فيقول : « صفحة جديدة من صفحات التاريخ بدأت ، واطل علينا عصر جديد . لنتحد معاً بصلاة خاشعة متواضعة وبثقة لا حد لها بمراحم سيدنا يسوع المسيح ومحبته التي لا حد لها للبشر ... اما منهاجنا في تصرفنا فهو الطاعة لاوامر السلطة والانصياع لها طالما لا تتعاند مع الوصايا الالهية . فلن نتدخل قط في القضايا المدنية . ولا في الامور السياسية ، مواظبين على السير في طريق الفضيلة والاخذ بروح التضحية لنساعد على التمكين لملك السيد المسيح في امتنا . »

ولكن كم من الاوامر والنواهي التي طلع بها النظام الجديد تتعاند ووصايا الله وناموسه .

فالمجلس الذي جرى انتخابه على صورة ليس من يجهلها ، قرر تعطيل كل المؤسسات الدينية بعد ان امر النظام الشيوعي باقفال المدارس الاكليريكية . فوجّه المتروبوليت على هذا كله احتجاجاً صارخاً . وحل من النذر الرهباني كل من لا يأنس من نفسه القوة والشجاعة على الصمود في وجه العاصفة الطالعة ، وذكر اولئك الذين وضعوا يدهم على المحراث : « ان العناية الالهية التي سمحت بتشريدكم في مهب الارياح انما تعهد اليكم بمهمة نشر الانجيل وحمل تعاليمه الى الجميع » . وقد خصص كنائس الاديار التي لم تصادر بعد لخدمة الخورنيات الروحية ، معيناً ما لها يلزم من الكهنة ، بينما وزع الكهنة الذين كانوا يتعاطون التعليم فحيل دونهم ، على الخورنيات الشاغرة ، او

صرفهم مرسلين بين المؤمنين .

واول ما قامت به المدرسة الشيوعية محاولتها افساد نفوس الاولاد بمنع الصلاة قبل الدروس وبعدها . ولذا نرى المتروبوليت يحث المؤمنين على الصلاة في الاسر صباحاً ومساء ، ويدعوهم الى قراءة الكتب التقوية بصوت عالٍ . فوجه الى الشبيبة المسيحية منشوراً عاماً مهيباً بهم قائلاً : « تقبّلوا الاسرار المقدسة بتواتر . وعليكم ان تتذكروا واجباتكم ، هذه الواجبات التي تتنكّب المدارس اليوم عن تذكيرها لكم . اياكم والحنث بالايمان وخيانة الاوطـان ، تيقّنوا ان العقوق لامنا الكنيسة المقدسة الرسولية امر منكر يملأ النفس خزياً وعاراً » . ويمكننا ان نتصور بعد هذا هياج الشيوعيين وغضبهم . الا انهم لم يجرؤوا على التعرض له . واستقبلوا بحقد وغضب منشوره الى المؤمنين : « برهنوا للملحدين عن حبكم الخـالص للقريب . صلوا لاجلهم ، وتحملوا اوصابكم وآلامكم كفارةً عن خطاياهم » .

لم يكن من اليسير ، وايم الحق ، ايصال كلمات الراعي الصالح الى جميع خرافه من رجال الاكليرس وجمهور المؤمنين ، اذ صادر الشيوعيون مطبعته وآلته الكاتبة . ولذا فقد آل ان يجمع في دارته في لفوف ، كل يوم خميس ، كهنة المدينة ليلقي اليهم بارشاداته ، حتى ان المارين كان يسمح لهم بحضور الاجتماع فيوجه اليهم نصائحه ، بينما كان زهاء ٦٠ او ٧٠ كاتباً ينقلون كلماته المسجدية ويوزعونها نشرات بعنوان : « اخبار الابرشية » . وهو يدعوهم الى استنساخها وتكثيرها وتوزيعها على اكبر عدد ممكن من المؤمنين ، حتى انه الزم بذلك ، في ايار سنة ١٩٤٠ ، كل كاهن تحت طائلة القانون الكنسي . وكان التعليم المسيحي والاخويات التقوية وما اليها من اعمال البر ، في عرف قوانين « التسامح » البلشفي من الامور المحظورة باعتبارها دعاوة دينية ، بينما

تنشط الدعوة الملحدة الى العمل تؤيدهـا الدولة وتضع تحت تصرفها كل الوسائل التي في متناولها ولاسيما الاذاعة والراديو . كل هذا والمتروبوليت لا يهمه الا خلاص النفوس . ولذا أوجب الاكثار من الوعظ والارشاد وتنشيط التعليم المسيحي . هذا ما يرغب فيه الراعي الصالح ، ويحمل الكهنة على التقيد به اكثر من اي زمان مضى ، فارضاً عليهم ان يخصصوا اربع ساعات في الاسبوع للتعليم الديني حيث يدعى جميع الاولاد لاستماع الدروس التي تلقى عليهم . وقد فرض على الكهنة الوعظ ايام الآحاد والاعياد ، فاكثر من رسائله الرعوية حيث يشدد على وجوب التمسك بالايمان والدفاع عنه : « علينا ان نعطي المؤمنين سلاحاً يحاربون به الكفر والالحاد . علينا ان نزود انفسنا والمؤمنين بالبراهين القوية للرد على الاضاليل والاباطيل التي يأخذ الملحدون في ترويجها بين الخراف » .

وبقطع النظر عن الطلبة وتلاميذ المدارس ، فقد تثاقلت وطأة الشيوعيين على المرضى والبؤساء في المستشفيات التي اصبحت تحت سيطرة البلشفيك . فقد حاولوا دون تلقي المحتضرين زادهم الديـني الأخير ، او التخفيف عنهم بعض ما يعانون من آلام في سكرة الموت الرهيبة . فكيف يسمحون بذلك وهذا في نظرهم من الدعاوة الدينية المحظورة ؟ والويل كل الويل للكاهن الذي يجرؤ على القيام بشيء من هذه الاشياء المنكرة ، فاقل عقوبة يستهدفها السجن لمدة ستة اشهر . ولم يرَ المتروبوليت بدًّا من الاحتجاج لدى السلطات الشيوعية في اوكرانيا فيذكر امامها : « في المستشفيات السوفياتية ، يقاسي المحتضرون من المعاملة اكثر مما يقاسيه المجرمون والمحكمون بالاعدام في سجون اوربا الغربية ، حيث يحرصون على تحقيق رغباتهم الاخيرة » . غني عن البيان ان هذه الاحتجاجـات ذهبت دوغا جدوى ، ولذا يوعز سيـادة

المتروبوليت الى الكهنة المقيمين بجوار المستشفيات بزيارتها على قدر الامكان، وهم في بدلاتهم العلمانية وان يعرّفوا المرضى ويناولوهم القربان المقدس بشكل لا يلفت نظر احد . ويتألف معظم هذه المستشفيات من مؤسسات دينية كان يقوم على ادارتها راهبات . فلما صادرت السلطة هذه المؤسسات وجعلت منها مستشفيات ابقت الراهبات على ادارتها كممرضات . وبفضل ما اتصفت به هذه الراهبات من روح التضحية والتجرد تمكن كثير من الكهنة المتنكرين من الدخول الى المستشفيات . وقد اتُّهِمَ احدهم الف مرة بجريمة مؤاساة المرضى والمحتضرين .

ومن اغرب ما مرَّ في خاطر سيادة المتروبوليت شبتسكي رغبته في الدعوة الى مجمع كنسي اقليمي . وقد حداه الى ذلك اعتقاده ان الاجتماعات الدينية التي كانت تعقد كل نهار خميس لم تكن لتكفي . ولذا رأى وجوب بذل نشاط اوسع واكبر . وقد عين في اذار ١٩٤٠ ، موعد افتتاح هذا المجمع ، في الثاني من ايار من السنة نفسها ، وطلب الى كل كاهن حتى من كان عابر طريق ، في لفوف اذ ذاك ، ان يحضر جلساته ولو لمرة واحدة . وافتتح المجمع اعماله بتحديد ايمانه علناً وانتهى من اعماله باقراره ٣١ مادة وعدداً كبيراً من التوصيات العامة تتعلق بالحياة والعبادة . وبين القرارات التي اتخذها المجمع ادخال عبادة قلب يسوع الاقدس على الكنيسة الوطنية الرسمية ، هذه العبادة التي نظروا اليها من قبل عادة لاتينية او بولونية متطرفة . وقد كرّس المتروبوليت لقلب يسوع الاقدس اوكرانيا بكاملها واكليرس الكنيسة المنفصلة والشعب الارثوذكسي بكامله . وامر باقامة صلوات في سبيل اتحاد الكنائس . فلا عجب ان تهيّج هذه المقررات السلطات المحتلة الحمراء ، التي القت القبض على اثنين من معاوني سيادته

وحكمت عليهما بالموت ، كما حكمت بالسجن بآماد طويلة ، على ١٤ آخرين . وقامت قيامة الصحافة الملحدة في الاتحاد الروسي تهاجم سيادة المطران وتصفه بكونه من رجال السياسة القديمة .

كل من رأى جحافل الجيش الروسي وجماهير الشعب الروسي اقتنع بان هؤلاء المساكين ، اتعس خلق الله قاطبة ، هم عطاش الى الدين والايمان . وبالرغم من كل المحاذير والنواهي دخل عدد كبير منهم الكنائس طالبين الصلبان لهم ولذويهم حتى ان بعضهم اقتبل سر العماد . ان الجوع الى الدين يكتسح روسيا جمعاء ، وهذا ما حدا بستالين ان يراعي ، في الحرب الأخيرة ، هذه المشاعر القومية التي يجيش بها الشعب برمته . وكان المتروبوليت واقفاً تماماً على هذه الحالة . ولذا فقد رخّص لاكليرسه بتقديم الاسرار المقدسة لهؤلاء المساكين . ولم يفارقه الامل قط بان يرى يوماً روسيا بكاملها واوكرانيا برمتها تعودان الى الله والى كنيسة السيد المسيح . وقد نادى بذلك وطالب به عالياً في مناسبات عديدة . فاسمعه يقول : « اني ارحب بمساهمة كل الكورنيات ، سواء اكانت في كييف او اوديسا او خاركوف او فينتسا او بولتافا ، من اي جهة جاءت في اوكرانيا البلشفية . فمن يرشح نفسه لهذا العمل عليه ان يكون على اهبة تامة ، ليلاً ونهاراً ، لتقديم ما يطلب اليه من التضحيات الضرورية او المفيدة لاتحاد المؤمنين ورجوع الارثوذكس وارتداد المارقين والملحدين معتمدين كانوا او غير معتمدين . عيشوا في ذات الحالات التي يصفها القديس بولس للكورنثيين في رسالته الثانية لهم ٢ : ٤ و ٢ : ١٣ . فليس من يجهل ان حركة النفي والتشريد التي رافقت احتلال روسيا الاول للبلاد قضت بنفي مليون او ما يزيد . وقد جرى ابعاد هؤلاء التاعسين الى اصقاع نائية لا كنيسة فيها ولا

كاهن. ومعظم هؤلاء المنفيين كانوا بولونيين اي من الكاثوليك التابعين لرومة. ومع ذلك فكنا نرى كهنة ، ملئ نفوسهم الشجاعة يندسّون بين جماهير المنفيين ويتغلغلون بين عربات النقل ليتمكنوا من مؤاساتهم والتفريج عنهم ومساعدتهم روحياً ودينياً . وقد توجّه سيادة المتروبوليت من السلطات المحتلة بطلب السماح له ولعشرة من الكهنة القيام بالاعمال الرعوية بين المنفيين . فغني عن الذكر ان طلباً كهذا طرح في سلّة المهملات .

وقد تمنى سيادة المتروبوليت ان يموت ميتة الشهداء وان تغيض حياته في سبيل ارتداد امته الى الايمان الوطيد دون ان يعمل شيئاً يستفز السلطة الى ذلك . وقد كلف بعض الوسطاء لدى الكرسي الرسولي لاستدراج قداسة البابا الى دعوته ليقدّم نفسه ضحية في سبيل الايمان ووحدة الكنيسة . . . « فاني لا اجسر ان اتقدم مباشرة بمثل هذه الطلب لقداسته . . . فالكنيسة لا تخسر شيئاً . بل على عكس ذلك ، يعود عليها هذا ببعض الجدوى . . . فبصفتي راعياً لهذا الشعب المسكين الا يحق لي ان اموت فداء عنه ؟ »

« وقد بلغ رصيد الاحتلال الاول الذي دام ٢٣ شهراً ، نحواً من ٢٥٠،٠٠٠ بين مبعد او مقتول، من ابرشيتي وحدها »، كما يصرح المتروبوليت. ويبدو جيداً ان الباعث الاول لهذا الاضطهاد هو ما يجيش في صدور المحتلين من البغض والشحناء نحو المسيح وكنيسته . وهؤلاء الذين تعذبوا او ضحوا بحياتهم كانوا على يقين حتى الرمق الاخير ، بان ما يبذلون ، انما يبذلونه في سبيل الايمان الكاثوليكي . ونحن نبتهل الى العزة الالهية ان توفر لنا الادلة اللازمة للشروع بدعوى تطويبهم في رومة » .

والسنوات الثلاث التي مرت بها البلاد في عهد الاحتلال الالماني لم تكن اسعد حظاً وارفق بالامة الروتانية من الاحتلال الروسي. فالالمان في هياجهم

ذبحوا البولونيين . والكل يعرف اليوم موقف الاشتراكية الديموقراطية من الدين وما قامت الكتائب الالمانية به من سلب واستباحة واستغلال وافقار، وكيف انها حاولت استدراج الاوكرانيين وجعلهم شركاء لها في عملية التفظيع والتجويع هذه . ولم تكن معرفة هذه الامور تفوت المتروبوليت . ولذا صدرت الاوامر بمصادرة منشوره الرعوي الصادر في كانون الاول ١٩٤٠ ، والمجمع الذي اعتاد الاجتماع سنوياً ، اضطر اعضاؤه ان يؤمنوه بطرق سرية مستخفية . وقد ادرك ان اوكرانيا لا يمكن لها ان ترجو شيئاً، لا من هذا ولا من ذاك من المحتلين، وان خير حلّ يرتجى لها ، في حال امتناع الاستقلال التام الناجز ، هو التمتع باستقلالها الاداري ضمن الدولة البولونية . ولذا فقد حذر مواطنيه من مغبة التعاون مع الالمان .

وقد صادر الالمان قصر المتروبوليت شبتسكي فاضطر الى مغادرته وسكن في قصر الاسقف اللاتيني . ومن هناك اتيح له ان يراقب رجوع الجيش الاحمر ودخوله الى مقره الاسقفي في سبيل « تحرير » بني قومه . فقضى نحبه في السنة نفسها اي في اول تشرين الثاني عام ١٩٤٤ ، وهو ابن ٨٩ سنة ، ينعم في المجد السماوي الذي استحقه منذ عهد بعيد .

اضطر الغزو الالماني ستالين الى مهادنة الدين والديانة ، ولذا اخذ يتسامح مع الكنيسة الارثوذكسية . لا نودّ ان نسهب الكلام في هذا الصدد عن امور يعرفها الجميع ، بالغ البعض في عرضها على وجه مغرض . والذي يهمنا ان نتبين قدر الاخلاص في هذا التسامح والتساهل وما هو فضل الظروف والمناسبات التي قضت بانتهاجه . وعلى كل فليس في الامر سوى حادث طارىء طالما ان الحزب الشيوعي لم يُعِد النظر بعد ، في موقفه الالحادي ، ولم يعمد الى الغاء اي قرار مناهض للدين صدر من قبل .

وهذا الموقف المتساهل تقفه الحكومة السوفياتية من الدين انما يقصد منه الكنيسة الارثوذكسية لا غير . فالكنيسة الكاثوليكية في روسيا لا تزال كما كانت من قبل ، عرضة للاضطهاد الديني الذي وقع عليها قبل الحرب . فلم يفرجوا عن اي كاهن كاثوليكي ، كما انهم لم يعيدوا الى الكاثوليك اية كنيسة خاصة من كنائسهم المصادرة . فالكنيسة الكاثوليكية الوحيدة التي لا تزال مفتوحة في طول الاتحاد السوفياتي وعرضه هي كنيسة القديس لويس في موسكو ، التي يقوم بالخدمة فيها كاهن اميركي الجنسية هو الاب لابرج ، تحت رعاية السفارة الاميركية . والصحافة الروسية ، ما قام منها في داخل البلاد او خارجها ، لا تزال تهاجم الڤاتيكان بعنف شديد وتتم عليه باشنع التهم واقبحها . ويحذو حذو موسكو في محاربتها الكنيسة الرومانية ، الحكومات الشيوعية الاخرى القائمة في البلدان التي تقع تحت الاحتلال الروسي . فقد الغت حكومة بولونيا مثلاً ، المعاهدة الدينية القائمة بين بولونيا والكرسي الرسولي لاسباب تافهة .

ومن المواقف المشرفة للاكليرس الروسي صموده في وجه الغزوة الالمانية اذ لم يكن الالمان باقل عداء للدين من الشيوعية نفسها . ومع ذلك فلو كان لفيف الاساقفة والبطريرك الكسي مشبعين حقيقة بروح الله ، متفهمين لواجباتهم ومسؤولياتهم ، لحققوا للكنيسة الارثوذكسية حريات اوسع من التي نالوها ، لاسيما والظروف جدُّ مؤاتية قد لايجود الدهر بمثلها ، وستالين في اشد الحاجة اليهم . ولكن اقتنعوا منه ببعض الغنم الزهيد فراحوا يتفانون في خدمته ويتصاغرون امامه ، الامر الذي لم يكن يرضاه لنفسه اي اسقف متحد بروما او احد احبار الطائفة اللاتينية ، فيتطوع مختاراً في خدمة الالحاد .

ولم تقتصر خدمات الاكليرس الروسي لستالين اثناء الحرب ، على الحقل

الوطني وتحريض الشعب على مقاومة الغزاة والمضي في ارهاقهم والذود عن حياض الوطن ، فقد اخذ يصور ستالين بكونه المثال الاكمل لرئيس الدولة المسيحي ، مع انه مشهور بروحه الملحدة الكافرة . ويقوم البطريرك في الداخل كما يقوم في الخارج، بالدعوة الى الشيوعية اي الالحاد. ويهاجم البابا، ولا يتورع قط من رميه باشنع التهم وافظعها . وهي اساليب يمجها كل ذي عقل سليم لما تقوم عليه من الغلاظة والقحة . ومثلهم في هذا مثل من يقطع بيده الغصن القائم عليه . قد كان يمكن للمرء ان تطوح به المخيلة فيتصور مثلاً، تفوق الارثوذكسية واستعلاءها فوق جميع الكنائس في عهد القياصرة ، لو اتفق وحدث مثلاً انخفاض شأن البابوية . اما اليوم ، فلا لزوم ان يكون المرء نبياً عظيماً في اسرائيل ، ليرى ان انتصار ستالين على البابوية - الذي لا يمكن والحمد لله مواجهة احتماله — لما سبق من وعد السيد المسيح من ان ابواب الجحيم لن تتغلب على الكنيسة — لايستتبع قط نتيجة محتومة له ، فوز الارثوذكسية وقطفها ثمار هذا الفوز ، بل تأمين فوز الشيوعية في احتمال كهذا ، وبانتصارها تمكين سيادة الالحاد في العالم. وهذا ما يدركه جيداً دعاة الشيوعية انفسهم ويزكنه كبار قادتها ، ولذا نراهم يستعملون الارثوذكسية تكأة لبلوغ اهدافهم . ويبدو ان البطريرك الكسي لا يمكن له ، بل لا يريد ان يفهم امراً كهذا .

فبعد ان اقتطع البلشفيك بولونيا الشرقية واخضعوا القسم الثاني منها لنظام يتولاه فيها اشباه الرجال (امثال بياروت ورفاقه) اخذت الشيوعية فيها تستهدف استئصال شأفة الديانة الكاثوليكية من القسم الاول . فاللاتين من البولونيين القاطنين فيه ، يجري نقلهم الى بولونيا المشوهة الممسوخة مع ما اليهم من الاساقفة والكهنة الذين آثروا البقاء حيث هم . اما اليونان

المتحدرون من العرق الاوكراني فيُستَبْقَون في البلاد ويبعدون عن كل خدمة روحية ، ناهيك عن بضع مئات من الالوف التي جرى تشريدهم بين مجاهل سيبيريا بعد ان صار استبدالهم باقوام غريبة حلت محلهم . وهذه اساليب عرفها التاريخ قديماً ونعتها بوصفها اساليب اشورية .

ليس هنالك اي اضطهاد رسمي للدين . فقد شاء ستالين نفسه ان يتمثل في حفلة جناز المتروبوليت شبتسكي التي تمت على اروع مظهر . وقد عينت رومة خلفاً له المطران سليبي ، الامر الذي كان له اطيب اثر في نفس الشعب وتقديره . ومع ذلك لم تشأ الشيوعية ان تمر هذه المناسبة دون ان تستثمرها ، اذ وجّه البطريرك الكسي نداء الى الكنيسة الكاثوليكية اليونانية في اوكرانية الغربية يدعوها فيه الى الانتقاض على النير البابوي والانضمام الى الكنيسة الارثوذكسية . وقد لبى النداء مجمع الكهنة الاوكرانيين برسالة وجهوها الى ستالين يعربون فيها عن رغبتهم في الغاء اتحاد برست والرجوع الى الارثوذكسية . وقد تألف المجمع المذكور من ٣٠ كاهناً لا نرى بينهم اسقفاً واحداً وترأسه الاب كوستالنيك لاخفاقه ، كما هو مرجح ، في بلوغه كرسي المتروبولية . ولم تكن موسكو لتطمع باكثر من هذا حتى تقرر انضمام الكنيسة الكاثوليكية اليونانية الى بطريركية موسكو وتعين الاب كوستالنيك رئيساً للجنة الكنسية التي انيط بها تنفيذ احكام هذا القرار .

وقد كانت هذه الكنيسة تعد اذ ذاك ثمانية مطارنة و ٢٧٠٠ كاهن . فلا حاجة لموسكو باكثر من ٣٠ كاهناً لحسم القضية على هواها ، وهذا نوع جديد من انواع الدكتاتورية يقوم بها فريق من الخوارج المارقين على الدين . فلم يتبع كوستالنيك في حركته هذه اي اسقف من اساقفة الطائفة . ولهذا رأى العدل البلشفي ان يعتقلهم جميعاً وبينهم الشيخ الطاعن في السن المطران

شومزين . واليك اسماءهم :

المتروبوليت اوسيب سليبي ومساعداه الاسقفان بودكا وبوتشكو وهذا الأخير استطاع الافلات والنجاة الى رومة .

مطران ستانسلافوف : الاسقف شومزين ومساعده جان لاتروفسك .

مطران برزمسل : يوشافاط كوسيلفسكي ومساعده غريغوريوس لاكوتا . الاسقف الزائر نيقولا تشارنيكي .

المدبّر الرسولي اسكندر مالتيوفسكي ونائبه جان لوزفسكي .

كل هؤلاء الاساقفة ومئات من الكهنة جرى اعتقالهم في ليل ١١/١٢ نيسان سنة ١٩٤٥، فسيق المطارنة في عربات الاعتقال الى مدينة كييف نفسها. وقضى المطران شومزين نحبه في السفر ، واقتيد المطران سليبي الى السجن كما سيق كوسيلفسكي الى احد السجون في بولونيا . وبعد ان قاسى انواع العذاب والألم اخلي سبيله . فقد كسروا بعض اضلاعه ونتفوا له لحيته ثم دخل مستشفى برزمسل . ولا نعرف شيئاً راهناً عن باقي الاساقفة ولا عن الكهنة المعتقلين . فقد تواروا حيث لا رجعة قط. وبعضهم قضى نحبه قتلاً . ومن المشكوك فيه جدًّا ، بالنظر لما هو معروف من الاساليب الشيوعية ، ان تفرج السلطة عن اي منهم .

وقد اثارت اعمال العنف هذه ، تقوم بها الحكومة السوفياتية ، حماس الاكليروس والمؤمنين وحملتهم على المقاومة . ففي غرة تموز سنة ١٩٤٥ عقد زهاء ٣٠٠ كاهن اجتماعاً وجهوا في ختامه احتجاجاً الى ستالين ومثله الى مولوتوف معترضين خصوصاً على مجمع كوستالنيك وعلى عمله غير الشرعي . وقد طالبوا بالافراج عن الاساقفة الموقوفين . فلم يمض كبير وقت حتى جاء الانتقام وصدرت الاوامر بتوقيف هؤلاء الكهنة وبرمي بعضهم بالرصاص .

واستهدفت كنائس كثيرة للنهب، وتحول بعضها الى نوادٍ شيوعية. اما الاديار فقد تحولت الى سجون اذ الحاجة اليها تزداد شهراً عن شهر في الاتحاد السوفياتي. واحتلت قصر المتروبوليت مدرسة تعلم الالحاد وتدعو له، واحتل قصر مطرانية ستانسلافوف البوليس السري المعروف (NKVD). وقد اخذت جماهير المؤمنين تتململ وتتذمر فرميت بصواعق النفي والتشريد، اذ ابعدوا الرجال الى سيبيريا والنساء الى جمهورية كازاكستان (تركستان). اما الاولاد فعهدوا بهم الى (الـ Komsomol) حيث يتلقون التربية الشيوعية اللازمة.

وقد رحب البطريرك الكسي ايما ترحاب بخضوع الكنيسة الكاثوليكية اليونانية لطاعته. فارسل الى مدينة لفوف اسقفين: الاول يدعى مكاريوس والثاني نيقولاوس، وهما جدٌ معروفين في الاوساط السوفياتية، اذ كان اولهما يرأس خلية شيوعية ويرأس الثاني احد نوادي الالحاد. فيالها من مآتٍ عظيمة تضفر اكليل المجد على هامة البطريرك الكسي! والغريب ان كوستانتيك لم ينل بعد العصا الاسقفية. ولعل ذلك مرده الى كونه متزوجاً.

ليس من الانصاف بشيء ان نمر بهذه الامور دون الاشارة الى ما لاقته تصرفات البطريرك الكسي من الاحتجاج الشديد والشجب من قبل الاساقفة الارثوذكس انفسهم الذين تسمح لهم حريتهم بالافصاح عن آرائهم. فقد اذاع راديو الفاتيكان خبراً مفاده ان مجمعاً قوامه اربعة رؤساء اساقفة وخمسة اساقفة اوكرانيين اجتمع في مدينة ألفنجن من اعمال المانيا الجنوبية واحتج على استعمال العنف والقوة ضد الكنيسة الكاثوليكة البيزنطية.

والآن، ونحن نصف ما في سبيل تدوينه آخذون، هناك اكثر من ٢٠٠٠ كاهن يرسفون في المعتقلات، خسر كثيرون منهم حياتهم وصحتهم، فرأى غبطة البطريرك الكسي ان يستبدلهم برجال يدينون قلباً وقالباً

بالشيوعية تنفر نياتهم المزورة الاتقياء من الروس الارثوذكس، وتحملهم على الابتعاد عنهم وتجنبهم، مرددين بان الخير للمؤمنين، والحالة هذه ، اجتنابهم لانهم عملاء للشيوعية . وليس بغريب ان يكونوا من الجواسيس السريين متخفين بثياب الحملان ، متسربلين ألبسة رجال الدين .

ولم يقتصر الاضطهاد على مطرانية لفوف نفسها بل تعداها الى مطرانية مونخاتشيفو في روتانيا الكارباتية الجنوبية التي تخلت عنها تشيكوسلوفاكيا للاتحاد السوفياتي ، حيث نرى المطران روميزا مسجوناً في قصره لا يستطيع الاتصال بجمهور المؤمنين . وقد اقفلت ايضاً الاكليريكية الكبرى كما اخذوا يصفون المدارس الاكليريكية الاخرى . ويتولى دائرة الشؤون الكنسية فيها احد كبار دعاة الالحاد هو الاستاذ لنتور ، الذي استطاع بجهوده ان يزيل من الوجود ثلث عدد الخورنيات .

ويوجد اليوم في منطقة الاحتلال الاميركية الانكليزية في المانيا نحو من ٢٥٠ كاهناً استطاعوا النجاة بانفسهم من الجحيم الشيوعي او صار ابعادهم الى المانيا يوم احتلت هذه الاخيرة بلادهم . وهم يخشون جداً ترحيلهم بالقوة الى اوكرانيا الغربية بوصفهم لاجئين . واذ رأى بعضهم الحالة التي تتخبط فيها كنيستهم وهي تدعو الى اليأس اعتنقوا الطقس اللاتيني . وقد عبر الاسقفان المتحدان الموجودان في الولايات المتحدة ، السيدان بوهاتشفسكي وسنيزين عن استعدادهما الكلي لقبول هذا الرهط من الكهنة في ابرشيتهما عملاً برابطة الاخوة التي تجمع بينهم . وبقطع النظر عن اميركا ، فالكنيسة الكاثوليكية المتحدة تتمثل اليوم بين اللاجئين البولونيين وضمن جيش الجنرال انديرز حيث يقوم بالخدمة الروحية بعض كهنة هذه الكنيسة . وعدد قليل من اتباعها يقوم في رومة .

موقف الكنيسة الرومانية من هذا الاضطهاد :

فما هو موقف الكنيسة الجامعة يا ترى من هذا الاضطهاد العنيف وموقف قداسة البابا نائب السيد المسيح على الارض ؟ فقد اسقط في يده ، من الوجهة المادية ، شأنه في ذلك شأن اسلافه الاقدمين في عهد الامبراطورية الرومانية . فهو يستعين بالسلاح الذي سلمه اياه السيد له المجد ، هذا السلاح الذي كان ، باختبار الاجيال والازمان ، اقطع من المهندات وامضى من السيوف اليمنية ، الا وهو سلاح الصلاة ، وسلاح اللسان . فقد اقام سيادة المطران صايغ في بيروت (قبل ارتقائه السدة البطريركية) كما اقام النائب البطريركي في القدس ، الذبيحة الالهية ، عن ارواح المطارنة والكهنة الزكية التي فاضت الى خالقها مستشهدة بدمها الغالي في سبيل دينها القويم . ويرفعون مثل هذه الخدمة الروحية ومثل هذه الابتهالات في كثير من المدن والبلدان . فالكاثوليك في جميع انحاء العالم يرفعون الاضرعة الحارة مستمطرين شآبيب الرحمة على هذه الضحايا العزيزة . ولا يزال قداسة البابا آخذاً هو نفسه او بواسطة ممثليه ، برفع صوته عالياً في سبيل الدفاع عنهم ، مشيداً امام الجميع باستشهادهم . ويحاول الشيوعيون في روسيا وغيرها من البلدان ان يسدلوا ستاراً من اللامبالاة حول هذا الصوت الداوي والاحتجاجات الصارخة .

ان الاتحاد الكنسي قام ابداً خلال التاريخ على دم الشهداء والضحايا الزكية . قد جاء ذلك كله مصداقاً لقول السيد المسيح : « اضطهدوني وسيضطهدونكم » . دأب الكرسي الرسولي ، خلال الاجيال الغابرة ، في كل أين وآن على رتق كل فتق يصيب قميص السيد المسيح . فقد شقت في القرن الحادي عشر ، ومع انه لم يبقَ في النفس من الامل غير متزع

خافت ضعيف ، فلم تنقطع رومة عن السعي الدؤوب لاعادة الوحدة الى الثوب الممزق . ومن مميزات الاتحاد الذي تم على يد المجمع الفلورنتي ، القيمة التي اكتسبها من وجهة العقيدة . ولم يأتِ هذا المجمع بثمرة اعماله اليانعة السائغة الا بعد انعقاده بقرن ونصف ، وذلك في بولونيا حيث عاد الى احضان الكنيسة ملايين من النفوس الضالة التائهة في مهاوي الغواية . فبينما كانت بولونيا دولة قومية كانت في الحين نفسه حرزاً حريزاً للكنيسة البيزنطية المتحدة . وما ان اخذ استقلالها يهن ويضعف حتى بدأ التفسخ على الاتحاد متداعياً الى الانهيار، ولم يبقَ على قوته ومتانته الا في هذا القسم من الكنيسة التابع للامبراطورية النمساوية التي كانت ترعاه وتتدبره لمقاصد سياسية صرفة . وما ان عادت بولونيا عودتها الاولى الى الاستقلال حرة ، منيعة ، عزيزة الجانب ، حتى عاد الازدهار ثانية الى هذه الكنيسة ، الى ان المت بها النكبة الكبرى يوم طوّحت الحرب ثانية بمصير بولونيا واستقلالها .

تقدير وواجب :

وهذا الاتحاد هو اكبر نعمة حلت بالامة الروتانية كما زكن ذلك سيادة المطران شبتسكي . ولنا ملْ الامل ان هذه النعمة السابغة ستشمل الملايين من الروس في المستقبل وبذلك تتم اقوال السيد المسيح ومقاصده الالهية بحظيرة واحدة وراع واحد . وهذا الاتحاد واستمراره حقباً من الدهر ، انما هو صنيعة الدولة البولونية وفعلة الامتين البولونية والروتانية . وسيبقى ابداً اجمل درة تزين مفرقها اذا ما انتسبت الامم وتباهت في ما قامت به من عمل رسولي وفي ما قدمته من دماء الشهداء الزكية .

وليس من يجهل ما لهذه القوى الروحية من قيمة وقدر جليلين . فبالرغم

مما يتبدّى اليوم من استشراء الالحاد واستعلائه على جانب الحق والفضيلة بعد ان تم له تكبيل الكنيسة الارثوذكسية في الاتحاد السوفياتي بالقيود والاوثاق ، ولم نقل « الروسية » ، لان الروس في الخارج يرذلون الاستعباد الذي رضي لها به الكسي ومن افّ لِفّه . ان تاريخ الكنيسة ملي. بالامثلة على الهفوات والزلات المؤسفة . الا انه من العسير جدًّا ان تقع العين على بطريرك مثل هذا البطريرك ، يمهد بيده السبل امام الكفر والالحاد. وما فوز ستالين على الكنيسة الارثوذكسية في روسيا الا نذيراً باستعلاء امر المسيح الدجال كما يصفه لنا سفر الرؤيا ، الذي سينتصب في قدس الاقداس ويركز عرشه على بحر من دماء الشهداء لتأتي الامم والشعوب وتنحني امامه مقدمة له الطاعة والخضوع . باستطاعة الله سبحانه وتعالى ، ان يغير هذا كله ويستبدله بما هو خير منه . غير ان دماء النفوس التي زهقت في الكنيسة المتحدة تشق عنان السماء صارخة كما صرخ هابيل من قبل . والديان العادل يقضي عدله بالسواء ويقتص لنفسه من الائمة الكفرة .

اما نحن المسيحيون الذين ننعم بملء الحرية ، والكاثوليك من كل الملل والنحل ، ولاسيما نحن اليونان المتحدون في لبنان وفي العالم ، علينا ان نبتهل الى الله ونضرع اليه ليتفقد برحمته هذا الاتحاد المرهق ولنصلِّ المضطهَدين ولنضرع بحرارة لتقصر تلك الايام ليخلص كل ذي جسد « ومن اجل المختارين ستقصر تلك الايام » (متى ٢٤ : ٢٢)

انتهى بعونه تعالى

LE MARTYRE

DE L'ÉGLISE GRECQUE-UNIATE

EN POLOGNE OCCUPÉE

Par

le Père Volodimir Flak

Curé Grec-Uniate

Traduit en arabe par

Haï-ben-Yakdhan

Publié aux frais de la Communauté Grecque-Uniate
Polonaise au Liban

1947

DATE DUE

282.438:F19iA:c.1
داغر ،يوسف اسعد
استشهاد الكنيسة اليونانية الكاثوليكية ف
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01001778

282.438:F19iA

فلاك

استشهاد الكنيسة اليونانية الكاثوليكية في بولونيا المحتلة ٠

282.438
F19iA

282.438
F19iA
C.1